تاريخ استقبال المقال: 2015/01/19 تاريخ قبول نشر المقال: 2015/04/22 تاريخ نشر المقال: 2015/06/30

ثقافة الشباب بين التأطير المعرفي و الواقع الاجتماعي

أ. د عبد العالي دبلة –جامعة بسكرة

أ. يزيد عباسي– جامعة جيجل – الجزائر

ملخص:

يعد موضوع الشباب و ثقافته من المواضيع التي يشتغل عليها في أكثر من تخصص و على أكثر من صعيد فعل الرغم من توفر مجموعة كبيرة من النظريات حاولت دراسة وفهم متطلبات المراحل العمرية للإنسان إلا دراسة مرحلة الشباب و تداعياتها خاصة الثقافية تبقى من المراحل التي يصعب فهمها ووضع براديغم معرفي لها لان ما يطبعها هو التجدد والمسايرة لمختلف التغيرات التي يمر بها أي مجتمع ومن ثمة التأسيس لمراحله المقبلة وفهم أهم معالم المستقبل الاجتماعي لأي مجتمع .

الكلمات المفتاحية:. ثقافة الشباب، التأطير المعرفي، الواقع الاجتماعي.

Youth culture of supervision between cognitive and social reality

Abstract :

Is the theme of youth and culture issues that operates in more specialization and on more than one level despite the availability of a wide range of theories tried to study and understand the age requirements for a person only study the age adult and private cultural impacts remaining steps that are difficult to understand and put his cybernetic paradigm because it is marked by the renewal and healing of the various changes experienced by the whole society and it is a foundation for the next steps and understand the most important social future of all the monuments of the company.

Keywords: Youth culture , framing the cognitive , social reality .

مقدمة:

لقد حضي موضوع الشباب بالاهتمام الواسع من قبل الدارسين والباحثين في العلوم الاجتماعية في السنوات الأخيرة، نظرا للأهمية التي أصبحت تحتلها هذه الفئة في النسق الاجتماعي، وكذلك عودتها كفاعل اجتماعي بارز يحرك كل الأنساق السياسية والاقتصادية والثقافية، ولعل أهم ما يمكن أن يكون موضوعا بحثيا في هذا المجال هو ثقافة الشباب، التي شهدت تحولات وتمظهرات عديدة في أغلب الدول العربية، لذا جاءت هذه الورقة البحثية لتسليط الضوء على بعض النقاط الجوهرية ذات الصلة بموضوع ثقافة الشباب بنوع من التحليل السوسيولوجي، كالجذور التاريخية لمفهوم ثقافة الشباب، مبررات الاهتمام بثقافة الشباب، الوظائف الأساسية لهذه الثقافة وأخيرا واقع هذه الأخيرة في العالم العربي آخذين المجتمع الجزائري نموذجا لذلك، مركزين على بعدين أساسيين في هذا التحليل هما التأطير المعرفي والواقع الاجتماعي .

1-الجذور التاريخية لمفهوم ثقافة الشباب

مصطلح الثقافة مصطلح صعب من حيث معانيه المتعددة بالنسبة لعلماء الاجتماع ، وكذلك تعدد الأفراد الذين يستعملونها باختلافاتهم المتنوعة، فالباحثين الاجتماعين الشباب يتجهون نحو تعريف الثقافة في سياقها العام، بمعنى أنها أسلوب أو طريق حياة، وثقافة الشباب تعرف من خلال طرق وآليات الحياة التي يتشارك فيها الشباب، وعليه يتضح أمامنا أن هذا التعريف يمكن تناوله بالمعالجة من وجهتين هما: الأولى تنظر لثقافة الشباب بأنها يمكن أن تصف نموذجا معينا من المعتقدات والقيم والرموز والممارسات التي يتبعها ويشترك فيها عدد من الشباب، والمنطلق في هذا التوصيف هو الملاحظة للحقائق المرتبطة بالحياة الاجتماعية التي يحياها الشباب، وما يسجل كنتائج لأعمال الباحثين الاجتماعين في هذا السياق أن هناك جماعات من الشباب كالمتهورين يتمسكون بطرق وأزياء وسماع موسيقى معينة والكلام بلغة عامية متعارف عليها والتجمع في أماكن معينة.

في هذا السياق يمكن القول أن النشاطات والأفعال المشتركة لفئة الشباب هي تجسيد للقيم المشتركة فيما بينهم، ووظيفة الباحث الاجتماعي هي كشف هذه القيم وتفسير معنى السلوك والفعل الملاحظ وهذا ما جسدته أعمال علماء الاجتماع البريطانيين في دراسة ثقافة الشباب.

أما الزاوية الثانية فيمكن من خلالها تناول ثقافة الشباب بطريقة أخرى هي كشف الجوانب الوظيفية لثقافة الشباب ، والآلية المتبعة هنا هي المشاركة الشبابية بمعنى مشاركة الشباب في إطار مؤسسي معين خلال تعرضهم لمشكلات اجتماعية مشتركة[1].

ثقافة الشباب وفق هذا المنحى دليل على طريقة التعامل في حل المشكلات في الممارسات اليومية ووصف القيم والأنشطة التي يتبناها الشباب في فهم تجاربهم المشتركة والتعامل معها، وعليه فلثقافة الشباب وفق هدا المنحى وظيفة ذات أهمية بالغة هي وظيفة حل المشكلات، هذه الوظيفة تبنت من طرف الباحثين الأمريكان في دراسة وفهم ثقافة الشباب.

من الناحية التاريخية تمكن الإشارة إلى أن أول دراسة مهمة عن ثقافة الشباب كانت في المملكة المتحدة " لمارك إبرهامز" الموسومة بـ (المستهلك المراهق في سنة 1959)، وكانت هذه الدراسة في الأصل دراسة في التسويق،

وهي عبارة عن مسح ميداني لجماعة الاستهلاك الجديدة التي ظهرت في الخمسينيات، وعند نهاية عقد الخمسينيات أصبحت هذه الدراسة مرجعا مهما لدى الشركات المتخصصة في إنتاج السلع ذات الطبيعة الشبابية.

والأهمية العلمية لدراسة " إبرهامز" IBRAHAMS تكمن من خلال إبرازها لشكل ونمط مميز لسلوك الشباب السوي أي غير الجانح، لكن بالمقابل كانت ثقافة الشباب في تلك الفترة تشير إلى جملة من الممارسات غير المرغوب فيها أو غير المقبولة اجتماعيا كان يمارسها بعض الشباب وبخاصة في الشوارع، أما من الناحية الاقتصادية كان ينظر إليهم على غرار بقية الفئات العمرية ليس على أساس سلوكهم السيئ، بل انطلاقا من خيارات السوق وهذه الخيارات كرست ثقافة الشباب، ومن محددات هذه الثقافة الفراغ أو الوقت الحر للشباب، السلع المستهلكة أو الواسعة الاستهلاك خلال وقت الفراغ، وأماكن قضاء الوقت الحر كالنوادي وقاعات الألعاب وقصات الشعر ومواد التجميل وألوان الموسيقى وغيرها.

وفق هذا المنظور يتضمن تعريف الشباب "كجماعة استهلاك" (groupe de consommation) نتيجتين أساسيتين:

لأولى: ثقافة الشباب تفسر باعتبارها مظهر أو جانب من جوانب الثقافة الجماهيرية، وكما هو متعارف عليه في التراث السوسيولوجي "الثقافة الجماهيرية" (culture de mass)، مصطلح تم نحته من قبل رواد المدرسة النقدية في علم الاجتماع خلال عشرينات وثلاثينات القرن الماضي في انتقادهم لتأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية لسببين، أولهما أن هذه الوسائل لا تعطى للأفراد حرية في اختياراتهم الترفيهية والاستهلاكية، لأنها موجهة من قبل المنتجين ورجال المال والأعمال، وثانيهما أن الأفراد يقبلون بهيمنة وسائل الاتصال رغم محليتهم ومحدودية أفاقهم، وعليه فوسائل الاتصال الجماهيرية حسب مفكري مدرسة فرانكفورت (Frankfurt) تمارس نوع من الهيمنة متمثلا في عدم تبيان طبيعة الحياة الحقيقية للأفراد في مجتمعاتهم بل تجسد الأوهام والخيالات التي ترضي الجميع أحيانا.

ومن ثمة فالثقافة الجماهيرية تعني شكلا من أشكال الثقافة يتعرض الأفراد من خلالها للتأثير من قبل الشركات التجارية فتحدد هذه الأخيرة أنماط وسلوكات هي مظاهر الثقافة الجماهيرية في هذا السياق يطرح "مارك إبرهامز"(MARK IBRAHAM) سؤال على مستوى عال من المشروعية: هل ثقافة الشباب هي نتاج أو محصلة أو هدف لما يرغب رجال السوق وأصحاب المؤسسات الإعلامية؟

امتدادا لما سبق هناك من يعد ثقافة الشباب (culture de la Jeunesse) كواحدة من الثقافات الفرعية Subculture))، هذا المصطلح ذاع انتشاره في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لدراسة خصائص الشباب قيمهم، واتجاهاتهم وأنماط تصرفاتهم.

بالإضافة إلى ذلك تعبر ثقافة الشباب عن أسلوب حياة مستقل عن عالم الكبار لا تخضع في الغالب إلى معاييرهم وقيمهم ومعتقداتهم وأساليب سلوكهم، بل يتأسس على نسق من القيم والمعايير والأفكار وأنماط السلوك غير مقيدة لما يريده الكبار، بمعنى آخر ثقافة الشباب هي شكل أو نوع من اللغة والقيم الخاصة والتصرفات المتميزة التي أكثر ما تتطبع به التمرد والعناد والتلقائية والغطرسة اتجاه الكبار ولذلك نجدها توسم بالثقافة المضادة أو المعادية (Contreculture).[2]

وللاختلاف بين جيل الآباء والأبناء في القيم والاتجاهات وأنماط السلوك وطرائق التفكير والتصرفات مجموعة من المبررات أثبتها الدراسات والبحوث في هذا المجال وهي تبعا:

-الفرق بين الفئتين والبطء في عملية الانتقال الاجتماعي من مرحلة عمرية إلى أخرى وكذلك بطء عملية التطبيع الاجتماعي.

-الفروق الجسمية خاصة التحولات الفيزيولوجية ومصاحباتها في فترة المراهقة.

-الاختلافات النفسية والاجتماعية والتي من تداعياتها العمرية واقعية البالغين، ومثالية الشباب والنزعة المحافظة لدى الكبار والميل إلى الإبداع والتغيير والتجديد لدى الشباب.

-الفروق والتباينات السوسيوثقافية خاصة ما تعلق بمتغير السلطة الأبوية التي سرعان ما تتراجع وتتقلص مع النمو التدريجي للأبناء، حيث ينشأ التعارض في موضوع المستقبل الذي يعتقد الأبناء أنه بإمكانهم تحقيق ما عجز عنه آبائهم بسبب عامل السن، وهنا تكرس منظومة القيم لأغلب المجتمعات الإنسانية على ضرورة احترام خصوصية كل مرحلة عمرية.

من الباحثين كذلك (DANO SULLVIAN) في تعرضه للثقافات الفرعية وخاصة ثقافة الشباب من تميز ظهور ثقافة الشباب خلال مراحل تاريخيه[3]:

-مرحلة ظهور موسيقى الروك(ROCK) في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي (ق20)، الشيء الذي أدى إلى اهتمام الشباب بالرقص والموسيقى، في نفس الفترة التاريخية تطورت حركة الاحتجاج السياسي فمثلا في حركة الطلبة في فرنسا مايو 1968، وكذلك حركة نزع السلاح ومعارضه امتلاك بريطانيا للقنبلة النووية.

-مرحلة ظهور العقاقير المرتبطة بالشباب (Drug) والمجتمع المتساهل (The permissive society) وظهور الصحف السرية (Underground News Paper) لكن هذا التاريخ لثقافة الشباب يميزه الغموض بعض الشيء.

2-مبررات الاهتمام بثقافة الشباب:

أما ما تعلق بمبررات الاهتمام بثقافة الشباب من أسباب موضوعية، تاريخية، اجتماعية وثقافية فالباحثون يعزونها إلى[4]:

-الرفاه المادي الذي يميز فئة الشباب والسبب زيادة الطلب على عمالة الشباب من خمسينيات القرن الماضي، فالنزعة الاستهلاكية للشباب فاقت توقعات الاقتصاديين والمنتجين، لأن هذه الفئة تستهلك سلعا معينة بنسب عالية كالملابس، التسجيلات، أجهزة الفيديو، السيارات هذا ما أدى إلى الاهتمام والتركيز على أذواق الشباب كقوة شرائية وكفئة استهلاكية.

-نمو التعليم العالي وارتفاع معدلاته فقد بلغت نسبة الشباب المتمدرسين بالجامعات ومراكز التعليم العالي إلى أكثر من 41% ، وبالإضافة إلى نمو مؤسسات التعليم العالي الشيء الذي جعل من فئة الشباب فئة متجانسة معرفيا وسلوكيا ومهاريا ويشترك العديد من الشباب في مجال الاهتمام، الطموح، القيم والمعايير، الأذواق الفنية والجمالية.

-أساليب وطرائق التنشئة الاجتماعية الحديثة للأطفال(Socialisation moderne)، تعد منطلقا مباشرا لظهور جماعات اليافعين والمراهقين الشباب الساخطين الرافضين لقيم المجتمع المعاصر وعليه فإن الأساليب والممارسات المختلفة والمتعارضة في أغلب الحيان في تربية وتنشئة الأطفال والمراهقين تبرر وتؤكد على مستوى التطور الحرّ في الشخصية الفردية(Personnalité Individuelle) مما انعكس على درجة وقوة تأثير معاني الاغتراب (Aliénation) على ممارسات وسلوكيات الشباب.

-المشكلات الاجتماعية محليا وعالميا حسب رؤية الشباب، فالشباب يتميز بنزعة نقدية اتجاه المجتمع بنظمه ومؤسساته.

من خلال إبراز خصائص ثقافة الشباب وتاريخ ظهورها وكيفية ظهور المصطلح وطريقة تداوله في الأوساط الأكاديمية والاجتماعية، في هذا الإطار يمكن الإشارة إلى أن استجابات الشباب الثقافية تتنوع بتنوع وتعدد احتياجاتهم بمعنى أنه لكل حاجة استجابة، هذه الاستجابة تحدد طبقا لمعايير وقيم سلوكية محددة، وثقافة الشباب وفق هذا المنظور هي منظومة قيم متكاملة مترابطة تمثل ذهنية وعقلية الشباب التي تنبثق عنها اتجاهات وكل اتجاه يشير إلى نظام من الآراء والمواقف والسلوكات.

ومن تتبع الواقع الاجتماعي يستنتج أن الحاجات المتنامية والمتزايدة لأجيال الشباب المتلاحقة كانت استجابات مباشرة للتطورات والتغيرات التكنولوجية والاجتماعية شديدة التسارع، مما أدى إلى بروز منظومة قيم وأنماط سلوكية شبابية ما كانت معروفة أو مألوفة في السابق مثل وسائل الاتصال، مواقع التواصل الاجتماعي، الأنشطة والممارسات الرياضية المختلفة، الموسيقى العصرية وغيرها.

من المنظور الوظيفي يعتقد السوسيولوجيون أن ثقافة الشباب لها دورا وظيفيا، وأن ظهورها كان رد فعل لمجموع التغيرات التي مست الحياة الاجتماعية، والتي أفرزت وأنتجت مجموعة من المشكلات، يمكن القول أن ثقافة الشباب كانت تصديا لها أو مظهر من مظاهر مواجهة المشكلات المصاحبة للتغير الاجتماعي في العديد من المجتمعات ،الوظيفة التي تمارسها ثقافة الشباب إذن هي تخفيف حدة وشدة التوتر الملازمة لعملية الانتقال العمري من الطفولة إلى الرشد إلى البلوغ[5].

3-الوظائف الأساسية لثقافة الشباب :

امتدادا لما سبق يمكن الحكم على ثقافة الشباب بأنها تقدم حلولا سريعة لمجموع التناقضات الموجودة في النسق الاجتماعي، ويقدم "مايك براك" الوظائف الأساسية لثقافة الشباب كثقافة فرعية على النحو التالي:

-تعطي ثقافة الشباب كثقافة فرعية حلولا لبعض المشكلات الناجمة عن التناقضات والمفارقات الداخلية للبناء الاجتماعي والتي غالبا ما ترتبط هذه المشكلات بالأوضاع المادية والاجتماعية للأجيال المختلفة.

-تشكل الثقافة الفرعية نظاما ثقافيا ينتج عناصر ثقافية دون غيرها تستخدم هذه العناصر في تطوير واكتساب هوية أخرى خارج الهوية الموروثة التي تكتسبها الفرد في الإطار الأسري أو في بيئة العمل.

-تعمل الثقافة الفرعية على تشكيل طريقة وأسلوب للحياة تتميز به فئة الشباب عن غيرها من الفئات الاجتماعية.

-تقدم ثقافة الشباب حلولا للتناقضات والأسئلة الوجودية للشباب.

–بحكم كون فترة المراهقة مرحلة إعادة تشكيل الهوية الفردية، الثقافة الشبابية الفرعية تشكل مصدر لإعادة التنشئة الاجتماعية أو كما يصطلح عليه "إعادة الاجتماعية الثانوية"، كما تعمل ثقافة الشباب حسب تصورات بعض الباحثين على إيجاد حلول للتناقضات التي لا توجد في ثقافة الأجيال السابقة وخاصة التناقضات المضمرة والمستترة والصعبة .

4– أهم ملامح ثقافة الشباب في المجتمع العربي (المجتمع الجزائري نموذجا):

في تناول ثقافة الشباب في المجتمعات العربية المستقبلة لأنماط ثقافية معينة لا يمكن تجاهل عمليتان أساسيتين هما التداخل الثقافي(Inter culturation) والمثاقفة (Acculturation)، لما لهما من فعالية في تأسيس ورسم معالم الثقافة الشبابية في المجتمع العربي، فثقافة الشباب في الوقت الحالي ثقافة معولمة أو ذات أبعاد عالمية، حيث أنها في جانب أو جزء كبير منها تتشكل خارج المجتمع العربي عبر شاشات وسائل الإعلام والوسائط الرقمية الحديثة، وكذلك من خلال انتشار أنماط من السلوك والممارسات الحياتية المستحدثة، ومن ثمة فثقافة الشباب في خضم التغير الاجتماعي المتسارع والمستمر تدور حول ثلاث مجالات ثقافية هي الثقافة التقليدية، الثقافة المحلية و الثقافة العالمية، ويقصد بالثقافة التقليدية كل مكونات الثقافة الشعبية (عادات، تقاليد، تراث، موسيقى، ممارسات وطقوس شعبية، اللّغة الأم، مظاهر الحنين إلى الماضي و المرجعيات التاريخية.

أما المقصود بالثقافة المحلية فهي ما يتشكل من ما هو محلي كممارسات يومية ،خطاب الحياة اليومية مجال عمراني...إلخ.

وتشير الثقافة العالمية فيمكن الإشارة إلى محدداتها الحالية متمثلة في نجوم الموسيقى والرياضة والسينما ومواقع التواصل الاجتماعي، الفضاء الافتراضي، أنماط الاستهلاك الغذائي مطاعم "الماكدونالدز" و"الكويك" وسيطرة وشيوع ثقافة الاستهلاك للماركات العالمية وسيادة اللغة الانجليزية[6].

على الرغم من التداخل بين المرجعيات الثقافية لثقافة الشباب سواء اعتبرها الباحثون باعثا أو مصدرا من مصادر الفوضى النفسية للشباب والاضطراب الثقافي، أو عاملا من عوامل الإغناء أو الإثراء، فإنه ومما لا ريب فيه أن العلاقة بالثقافة الأجنبية عبر قنوات ومفاعيل العولمة هي علاقة ذات نزعة متوترة مضطربة جدلية بالأساس، كما أنها تعتبر أساسا ومنطلقا للعديد من المشكلات التي يعرفها الشباب في مرحلة عمرية حساسة يعد خلالها بناء الهوية الفردية مرحلة مركزية في مسار حياة الفرد، بمعنى أن عدم التناغم أو التوافق من الثقافة التقليدية الأم وثقافة العولمة لا يتضمن مشاعر واتجاهات العدائية فحسب تجاه قيم الثقافة المعولمة كالتحرر الأخلاقي و سيادة وانتشار النزعة الاستهلاكية، الاستهلاك المظهري أو التفاخري، لكنه يمتد إلى غير ذلك حيث يغير نظرة الشباب أنفسهم واتجاههم نحو ثقافتهم الأم أو الأصلية حيث يكرس لديهم الإحساس بعد قدرة ثقافتهم الأصلية على موازاة و مسايرة مستحدثات الحياة الحداثية (la vie modernise) وصور العجز فيها عن إعطاء معنى للوجود الاجتماعي الفردي متمثلة في تجربة الإنسان الحديث في تفاعله مع نفسه ومع العالم الخارجي الشيء الذي يخلق للشباب في مجتمعنا النظرة والإحساس بالدونية اتجاه المجتمع المحلي واتجاه الذات بصورة أخص.

في إحدى الدراسات في هذا الاتجاه توصلت الباحثة "منية البناني الشرايبي" في دراسة أجرتها حول علاقة الشباب العربي بالغرب الأوروبي الأمريكي إلى استنتاج ثلاث آليات متداخلة في هذه العلاقة، آلية "تملك الثقافة الغربية"(Appropriation) ، "الانجذاب إلى الثقافة الغربية" و"النفور من الثقافة الغربية"،والمقصود بالتملك هنا ما

يتعلق باكتساب وتبني مجموع مكونات الثقافة الغربية وإعادة إنتاجها طبقا لدلالات ورهانات السياق المحلي، بصورة توضح مظاهر التلاقح أو المزاوجة بين عناصر الثقافة الأوروأمريكية ومكونات الثقافة المحلية، وتشير آليتي "الانجذاب" و"النفور" إلى ما يتمثله الشباب في ثقافتهم عن الغرب، حيث أن صورة الغرب الذي يعتبر الآخر بالنسبة للشباب العربي هي مرآة تنعكس في خلالها مجموع انتظارات الشباب في ارتباطاتهم وعلاقاتهم بالسياق المحلي وبعض مشاعر الإحباط والسلبية الموجودة في ذواتهم.

من هذا المنظور واقع الحياة الغربية بمجاميعها ما هو إلى محك أو نموذج للمقارنة يوظف للتعبير عن التحديات والرهانات ومختلف مظاهر التفاوض والصراع الاجتماعي ذات الارتباط بالتغيرات القيمية في المجتمعات العربية، ففي مضمون حديث الشباب العربي عن الغرب في مختلف نقاط قوته هناك تعابير عن مبررات انهيار صورة الذات، عن خيبة الأمل في المشاركة السياسية، عن انعدام آفاق تجسيد مجتمع ديمقراطي بعقلية تداولية، عن غياب الحرية في الفضاء العام وعدم توفر إمكانية تحقيق الذات، وهو ما يعتبره الشباب غياب للحس المدني في الحياة اليومية وانتشار ظاهرة التزمت وعدم التسامح، عن التسلط العائلي وغياب أبسط مظاهر الحرية في الحياة الخاصة؛ بالمقابل هناك نقاط سلبية إضافية يسجلها ويبديها الشباب العربي اتجاه الثقافة الغربية حيث يحيل الشباب العربي كل ما يعتبره آفات أو مشكلات مصدرها الغرب الأوروأمريكي، ولا يمكن حلها أو تجاوزها إلا بالعودة إلى قيم الثقافة الأم، ويأتي على رأس قائمة هذه المشكلات التفسخ الأخلاقي في مظاهره الجنسية والتفكك الأسري وهيمنة النزعة المادية وثقافة الاستهلاك.

يتضح إذن أن التحديات المعرفية ذات العلاقة بدراسة ثقافة الشباب في المجتمع الجزائري كنموذج للمجتمع العربي، في التعرف على حقيقة ما تركته أو نحتته الحداثة بقيمها في هذا المجتمع وتوصيف ذلك من خلال دراسة قيم الشباب وعلاقتها بثقافتهم، يمكن إيضاح ذلك من خلال ما تتميز به ثقافة الشباب الجزائري كنموذج للثقافة الشبابية في العالم العربي ، حيث تتميز هذه الثقافة بذيوع وانتشار قيم الفردانية(lesValeurs de d'Induvulualisme) وإصباغها بالشرعية الاجتماعية، حيث تقوم في هذا الاتجاه ثقافة الشباب في هامش كبير منها على تكريس قيم الفردانية والتي تعطي للفرد الشاب مكانة مركزية كونه فرد، سواء ارتبط ذلك باختيارات معينة خاصة ما تعلق بجسده، مظهره، التزاماته وانتماءاته الاجتماعية، محددات بناء هويته الفردية بصورة مستقلة عن سلطة العائلة وخلفياتها، موروثها ومرجعياتها[7].

كما أن عديد العناصر المشكلة لثقافة الشباب الوافدة من المجتمعات الغربية هي في مضامينها فردانية، من أهم ما تتميز به تثمين كل ما يمكنه إعلاء قيمة الفرد وتنمية إحساسه بالرضا و الاشباع وتحقيق الذات، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى المكانة المركزية التي يحتلها النجاح المادي (الاقتصادي) في المنظومة القيمية للشباب بوصف النجاح المادي شكل من أشكال إثبات الوجود الفردي ومختلف مظاهر الانعكاسية أو النرجسية الجسمانية التي تحكم علاقة الشباب بأجسادهم[8].

ويبرز ذلك من خلال اتساع وانتشار النشاطات الرياضية ذات الطابع الجمالي كقاعات كمال الاجسام و قاعات الأيروبيك وأنظمة الحمية ومختلف أنواع الحوار الفرداني الجسدي كونه محملا ومستحب للذات، كما أن تجربة الشباب الاجتماعية تدعوهم أكثر مما كان عليه الحال بالنسبة للأجيال السابقة للتحكيم بين المرجعيات القيمة المتضاربة المحيطة بهم، والتي يمكن أن تكون مصدرها الدين أو العلم أو التقاليد أو وسائل الإعلام أو الاحتكاك بالآخر، أي إلى ممارسة ما يمكن اعتباره نوعا من أنواع سيادة الذات الفردية.

كما أن عملية التحكيم والمقارنة تبقى مستمرة لدى فئة الشباب في سياق بناءهم لعالم قيمي خاص بهم يعكس بصورة أو بأخرى مدى ترسخ قيم الحداثة مثل المرتبطة بفصل المؤسسة الدينية عن المؤسسات الاجتماعية الأخرى وبالأخص المؤسسات السياسية، والفصل كذلك بين المجالين العام والخاص[9].

وكما هو معروف القيم الحداثية الغربية لعبت ومارست دورا بالغ الأهمية في تأسيس وبناء المجتمعات الغربية المعاصرة، ما تزال لحد الساعة موضوع جدال سياسي ونقاش أكاديمي وصراع اجتماعي شديد في المجتمعات العربية، ففي بحث أجراه الباحثان "محفوظ داروي وعماد المليتي" في تونس حول العام والخاص وما ينتج عنه من اعتراف وإقرار معلن بحرية الفرد في عديد الميادين كطبيعة المعتقد الديني وشدة الالتزام بالتعاليم الدينية (كارتداء الحجاب أو لبس القميص أو طلق اللحية مثلا) وهذا ما اعتبره بعض الشباب موضوعا أو قضية خاصة.

هذا المؤشر يمكن اعتباره محددا لانتشار قيم الحداثة عند الشباب، وكما تشير الدراسات المتعلقة بثقافة الشباب إلى أهمية وعمق ترسخ قيم ثقافية حديثة ومنتشرة بسرعة بين المجتمعات على المستوى العالمي كثقافة حقوق الإنسان، حقوق المرأة، قيم المساواة الجندرية ،قضية التمكين الاجتماعي.

إجمالا فيما يتعلق بثقافة الشباب في مجتمعنا يبقى الاختلاف والتعدد أكثر حدة واستقطابا على مستوى تمثلاتهم ونظرتهم للعالم ومرجعياتهم القيمية، حيث تلعب الانتماءات الأسرية والأصل الاجتماعي والمستوى التعليمي والاجتماعي للعائلة دور كبير في تحديد السلم القيمي التفضيلي للشباب، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك تباين في المواقف والرؤى فيما تعلق بموضوع حقوق المرأة وقضية المساواة بين الجنسين والاختلاف في النظر لدور الدين في الحياة الاجتماعية، ففي إحدى الدراسات التي أجريت على التدين عند الشباب العربي تم التوصل إلى أن الكثير من الشباب يجنح إلى اعتبار التدين شأن فرديا يخص علاقة الخالق بالمخلوق أو وسيلة لتحقيق التوازن النفسي، وينظر البعض الآخر إلى الدين على أنه يمارس دورا أكثر شمولا خاصة ما تعلق بتنظيم الحياة الاجتماعية، كما يؤكد بعض الشباب على أن المؤسسة الدينية يجب أن تلعب دور محوريا في الحياة العامة وكذلك في تحديد الخيارات والتوجهات السياسية للمجتمع، وما يسجل كذلك في علاقة الشباب بالدين الرغبة الملحة في الالتزام بالتعاليم الدينية في حرفيتها وكذلك النزعة في خرق هذه التعاليم، سواء كان ذلك نتيجة للشعور بصعوبة الالتزام بها لما تتميز به الحياة المعاصرة من خصوصية، أو مرد ذلك إلى عدم اقتناع الشباب بما تمليه عليه من حدود وضوابط لممارسات حياته.

ومهما قيل عن علاقة الشباب بالتدين كوجه أو كجزئية في الممارسات الثقافية المتعلقة بهم إلا أنه يمكن القول أن أغلب الشباب يميل إلى المراوغة في التعاطي والتفاعل مع التعاليم الدينية باحترامها أحيانا وتجاوزها أحيانا أخرى، خاصة ما تعلق بالمغامرة والنجاح، بالإضافة إلى ما سبق يمكن القول أن علاقة الشباب بالدين أو ظاهرة التدين الشديد (التطرف) هي الآن بصدد التحول بفعل جملة من العوامل والمؤثرات، على سبيل المثال لا الحصر سيادة وانتشار الفردانية الدينية (l'Individualisme religieuse) كونها إحدى مقومات ودعائم الحداثة الدينية (la Modernité religieuse)، وعمومية التعليم بمضامينه خاصة القدرة على التعامل المباشر مع النص الديني وتراجع دور المؤسسة الدينية في العديد من الدول العربية ومنها الجزائر[10].

خاتمة:

إن ما يمكن استنتاجه من الواقع الاجتماعي للعديد من المجتمعات العربية هو ثقافة الرفض التي تميز شبابها بمختلف تياراته و أصنافه الفكرية، و الشباب العربي اليوم تتجاذبه ثقافات متعددة متناقضة في العديد من محتوياتها و اتجاهاتها و الثقافة الهجينة التي اكتسبها الشباب اليوم تضعه في مواجهة سؤال الهوية بالدرجة الأولى؟ خاصة في ظل الاكتساح الرهيب لثقافة العولمة و التوسع غير المسبوق للمجتمع الشبكي الذي يعج بأصناف و محددات ثقافية لا حصر لها ؟.

الهوامش:

1- ميشيل هارالامبوس(2001)، اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن وآخرون بيت الحكمة، بغداد، 441.

2- السيد عبد العاطي السيد(1987)، صراع الأجيال (دراسة في ثقافة الشباب)، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 10،11.

3- فرد ميلسون(2007)،الشباب في مجتمع متغير ،ترجمة يحي موسى بدر، دار الوفاء الإسكندرية،81.

4- فرد ميلسون(2007)، مرجع سبق ذكره،113.

5- السيد عبد العاطي السيد(1987)، مرجع سبق ذكره ،40.

6- volk Lucia :la construction d'une identité d'âpre –guerre parmi la jeunesse bourgeoise de Beyrouth grandir a la croisée des espaces culturels –in maghreb /machrek –monde arabe .n :171-172janv-juin2001-p67.69.

7-Mahfoudh draoui&Imad meliti –de la difficulté de grandir –pour une sociologie de l'adolescence en Tunisie- Tunis cpu 2006-p101.

8- Giddens Anthony –la transformation de l'intimité sexualité et érotisme dans les sociétés modernes .paris .hachette -2004.p175.

9-عماد المليتي(2009)، ثقافة الشباب العربي – الأوضاع الحالية و الرؤى المستقبلية – ورقة مقدمة لاجتماع الخبراء حول تعزيز الإنصاف الاجتماعي: إدماج قضايا الشباب في عملية التخطيط للتنمية ،أبو ظبي 29-31مارس2009 منشورات الاسكوا(ESCWA-UN) .

10-Daniéle Hervieu –Léger –le pèlerin et le converti –la religion en mouvement-paris .flammarion-1999-p178.